

نزار قباني



أشعار
خارجة
على
القانون

نوفل

نزار قباني

أشعار خارجة على القانون



جميع الحقوق محفوظة.

صدرت عام 2015 عن نوفل، دمغة الناشر هاشيت أنطوان
الطبعة الثانية، 2017

© هاشيت أنطوان ش.م.ل.، 2015

سنّ الفيل، حرج ثابت، بناية فورست

ص.ب. 11-0656، رياض الصلح، 1107 2050 بيروت، لبنان

info@hachette-antoine.com

www.hachette-antoine.com

facebook.com/HachetteAntoine

twitter.com/NaufalBooks

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة من الوسائل – سواء التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات أو استرجاعها – من دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

تصميم الغلاف والداخل: بسكال زغبى

اقتباس التصميم: ماري تريز مرعب

متابعة النشر: نجلا رعيدي شاهين

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية): 978-9953-26-904-7

ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية): 978-614-438-463-3

حبييتي

لأنَّ من يُحبُّ في مدينتي مجنونٌ..

لأنَّهم في بلدي

يصنّفون الحبَّ في مرتبة الحشيش والأفيون

ويشنعون باسمه..

ويقتلون باسمه

ويكتبون باسمه القانون

قرّرتُ يا حبييتي

قرّرتُ أن أحترف الأشعارَ والجنون!!

نزار

منشور سرّي جدّا

العالمُ عَشَقُ.. فاتَّحدوا يا أهلَ العَشَقِ
ما زال أبو لَهَبٍ يَتمطّى فوق وسائد هذا الشرقِ
يتسلّى في قَصِّ الحَلَماتِ..
وقطعَ الثدي، وضربَ العُنُقَ
فتلاؤوا مثلَ مياهِ البحر، وفيضُوا مثلَ نهورِ الشوقِ
وافترشوا أوراقَ الصفصاف، وناموا في أجفانِ البرقِ
فأنا ما زلتُ أقولُ لكم:
لا شيءَ سيبقى إلّا العَشَقُ..
لا شيءَ سيبقى إلّا العَشَقُ..

بلاغ شعري رقم ١

إيَّاكَ أن تتصوَّري..

أَنِّي أفكِّرُ فيكَ تفكيرَ القبيلةِ بالثريدِ

وأريدُ أن تتحوَّلي حَجَرًا.. أطارحُه الهوى

وأريدُ أن أمحو حدودَكَ في حُدودي

أنا هاربٌ من كلِّ إرهابٍ يمارسه جدودُكَ أو جدودي

أنا هاربٌ من عصر تكفين النساءِ..

وعصر تقطيع النهودِ..

فَضَعِي يَدَيْكَ، كنجمتينِ على يدي

فأنا أحبُّكَ.. كي أدافعَ عن وجودي..

•

إيَّاكَ أن تتخيلِي..

أَنِّي أُفتِّشُ عن مغامرةٍ، وأَسْلَابٍ، وعن غزوٍ جديدِ

أو تحسبي.. أَنِّي سأحكمُ في الفراشِ بمفردي

لا فرقَ عندي، إن أردتِ ولم تُريدي..

لا أنتِ من صنفِ العبيدِ، ولا أنا أهتمُّ في بيعِ العبيدِ

إنِّي أحبُّكَ.. جدولًا.. وحمامةً

ونُبوذةٌ تأتي من الزمنِ البعيدِ..

وقصيدةٌ.. وَعَدْتُ ولم تحضُرْ

ومكتوبًا غراميًا يزقزقُ في بريدي..
وأنا أُحبُّكِ في طموح البحر، في غَزَلِ الرعودِ مع الرعودِ
وأنا أُحبُّكِ في احتجاج الغاضبينَ،
وفرحة الأحرار في كسر الحديدِ
وأنا أُحبُّكِ في وجوه القادمين لقتل هارون الرشيد..
هل تصبحينَ شريكتي.. في قتل هارون الرشيد؟

مُحاكَمَة غَيْر شَرِيعَة

إذا كانتْ مكاتبي الغرامية
تُشكِّلُ أيَّ عدوانٍ على أَحَدٍ..
إذا كانتْ مكاتبي الغرامية..
بثورتها..
وجُراتها..
ونُبرتها الطفولية
ستقلبُ حَوْلَكِ الدنيا
وتقتلُ ألفَ درويشٍ..
وتُشعلُ ألفَ معركةٍ صليبيةٍ..
فلا تستعربي أبدًا..
أيا عصفورة الصيف الرمادية
إذا أبصرتِ أوراقِي..
معلَّقةً على بَوَابَةِ المُدُنِ النحاسيةِ
فإنَّ الحبَّ تحكمه سيوفُ الإنكشاريةِ
ولا تستعربي أبدًا..
إذا اغتالوا أزاهيري..
فهذا العصر يؤمنُ بالأزاهير الصناعية..
ولا تبكي عليَّ إذا أدانوني
وقالوا عن كتاباتي: إباحية

فكلُّ محاكم العشَّاق في وطني

محاكمٌ غيرُ شرعيَّةٍ..

بيروت والحُبُّ والمَطَر

إنتقي أنتِ المكانُ..
أيّ مقهى، داخلٍ كالسيف في البحر،
إنتقي أيّ مكانُ..
إنّني مُستسلمٌ للْبَجَعِ البحريِّ في عَيْنَيْكَ،
يأتي من نهايات الزمانُ
عندما تُمطرُ في بيروت..
أحتاجُ إلى بعض الحنانُ
فادخلي في معطفي المُبتَلِّ بالماءِ..
ادخلي في كنزة الصُوفِ..
وفي جلدي.. وفي صوتي..
كُلّي من عشب صدري كحصان..
هاجري كالسمكِ الأحمر.. من عيني إلى عيني
ومن كَفّي إلى كَفّي..
ارسمي وجهي على كراسية الأمطار، والليل،
وبلّور الحوانيت، وقشّر السنديان..
طارحيني الحبّ.. تحت الرعد، والبرق..
وإيقاع المزاريب.. امنحيني وطنًا في معطف الفرو الرمادي..
اصلبيني بين نهديك مسيحًا..
عمّديني بمياه الورد.. والأس.. وعطر البيلسانُ

عانقيني في الميادين..
وفوق الورق المكسور، ضُمّني على مرأى من الناس
ارفضي عصرَ السلاطين، ارفضى فتوى المجاذيب..
اصرخي كالذئب في منتصف الليل..
انزفي كالجرح في الثدي..
امنحيني روعة الإحساس بالموت..
ونعمى الهديان..
عندما تُمطر في بيروت..
تنمو لكأباتي غصون، ولأحزاني يدانُ
فادخلي في كنزة الصُوف.. ونامي
نحنُ تحت الماء يا نَحْلَة رُوحِي.. نَحْلَتَانُ..

•

ليس في ذهني قرارٌ واضحٌ..
فخذيني حيثما شئتِ..
اتركيني حيثما شئتِ..
اشتري لي صحفَ اليوم.. وأقلامَ رصاصٍ
ونبيذًا.. ودخانًا..
هذه كلُّ المفاتيح.. فقودي أنتِ..
سيرى باتجاه الريح والصُدفَةِ..
سيرى في الزواريب التي من غير أسماء..
أَحْبَبْنِي قَلِيلًا..
واكسري أنظمة السير قليلًا..

واتركي لي يدك اليمنى قليلاً..

فدراعاك هما بر الأمان..

•

ليس للحب ببيروت خرائط..

لا ولا للعشق في صدري خرائط..

فابحثي عن شقة يطمرها الرمل..

ابحثي عن فندق لا يسأل العشاق عن أسمائهم..

سهريني في السرايب التي ليس بها..

غير معلن وبيان..

•

قرري أنت إلى أين..

فإن الحب في بيروت مثل الله في كل مكان

شُكْرًا

شُكْرًا لِحُبِّكَ..

فهو معجزتي الأخيرة..

بعدما ولَّى زمانُ المعجزاتِ.

شُكْرًا لِحُبِّكَ..

فهو علّمني القراءة، والكتابة،

وهو زوّدني بأروع مُفرداتي..

وهو الذي شَطَبَ النساءَ جميعهنَّ.. بلحظةٍ

واغتالَ أجملَ ذكرياتي..

شُكْرًا من الأعماق..

يا مَنْ جُنْتُ من كُتُبِ العبادة والصلاةِ

شُكْرًا لخصرك، كيفَ جاءَ بحجم أحلامي، وحجم تصوّراتي

ولوجهك المندسّ كالعصفور،

بينَ دفاتري ومذكّراتي..

شُكْرًا لأنّك تسكنين قصائدي..

شُكْرًا..

لأنّك تجلسين على جميع أصابعي

شُكْرًا لأنّك في حياتي..

شكراً لِحُبِّكَ..

فهو أعطاني البشارة قبل كل المؤمنين

واختارني ملكاً..

وتوجني..

وعمدني بماء الياسين..

شكراً لِحُبِّكَ..

فهو أكرمني، وأدبني، وعلمني علوم الأولين

واختصني، بسعادة الفردوس، دون العالمين

شكراً..

لأيام التسكع تحت أقواس الغمام، وماء تشرين الحزين

ولكل ساعات الضلال، وكل ساعات اليقين

شكراً لعينيك المسافرتين وحدهما..

إلى جزر البنفسج، والحنين..

شكراً..

على كل السنين الذاهبات..

فإنها أحلى السنين..

•

شكراً لِحُبِّكَ..

فهو من أغلى وأوفى الأصدقاء

وهو الذي يبكي على صدري..

إذا بكت السماء

شكراً لِحُبِّكَ فهو مروحة..

وطاووسٌ.. ونعناعٌ.. وماءٌ
وغمامةٌ ورديةٌ مرّت مصادفةً بخطّ الإستواء..
وهو المفاجأة التي قد حار فيها الأنبياء..
شكرًا لشعركِ.. شاغلٍ الدنيا..
وسارق كلّ غابات النخيل
شكرًا لكلّ دقيقةٍ..
سمحتُ بها عيناكِ في العمر البخيلُ
شكرًا لساعات التهوّر، والتحدّي،
واقطفُفِ المستحيلُ..
شكرًا على سنوات حبّكِ كلّها..
بخريفها، وشتائها
وبغيمها، وبصحوها،
وتناقضات سمائها..
شكرًا على زَمَنِ البُكا، ومواسِمِ السَّهر الطويلِ
شكرًا على الحزن الجميلِ..
شكرًا على الحزن الجميلِ..

خَرَبَشَاتُ طِفُولِيَّة

خطيبتُي الكبيرةُ الكبيرةُ

أَنِّي، يا بحريَّةَ العينين، يا أميرَه

أُحِبُّ كالأطفالُ

وأكتبُ الشعرَ على طريقة الأطفال

فأشهرُ العشاقِ يا حبيبتي

كانوا من الأطفال

وأجملُ الأشعار، يا حبيبتي

ألفها أطفالٌ..

خطيبتُي الأولى وليستُ أبدًا خطيبتُي الأخيرة

أَنِّي أعيشُ دائمًا بحالة انبهارٍ

وأَنَّنِي مُهيَّأً للعشقِ يا حبيبتي

على امتداد الليل والنهار..

وَأَنَّ كُلَّ امرأةٍ أُحِبُّها..

تكسرني عشرين ألفَ قطعةٍ

تجعلني مدينةً مفتوحةً..

تتركني – وراءها – غُبارُ

خطيبتُي..

أَنِّي أرى العالمَ يا صديقتي

بمنطق الصغار

ودهشة الصغار..

وأنتني أقدرُ في بساطةٍ

أن أرسَمَ النساءَ في كراستي..

بهية الأشجارُ

وأجعلَ النهْدَ الذي أختارُه

طيَّارةً من ورقٍ..

أو زهرةً من نارٍ..

•

خطبتني..

– ومن بنا كان بلا أخطاء –

أنِّي بقيتُ مؤمناً بزرقة السماء

وأنتني أعتبرُ الأشجارَ، والنجومَ، والغيومَ أصدقاء

وأنتني جعلتُ من قصائدي

عاصمةً تحكمها النساء..

فأيُّ ثغرٍ مُغلَقٍ

يقول في مملكتي جميعَ ما يشاء

وأيُّ نهْدٍ خائفٍ..

يقدر أن يطيرَ أو يحطَّ.. في الوقت الذي يشاء..

•

خطبتني..

– إن كنتِ تحسبينيها خطيئةً –

أَتِي من طفولتي..
أبحث عن جَنِيَّةٍ نائمةٍ بغايَةٍ
مرأتها بحيرةٌ..
ومشطُها سحابةٌ
خطبتني..
أَتِي أَظِلُّ دائماً.. منتظراً قصيدةً..
تجيء من شواطئ الغرابِ
وأنتي أدركُ يا حبيبتي
كيف يكونُ الموتُ في الكتابِ..

•

خطبتني..
أَتِي نقلتُ الحبَّ من كهوفهِ
إلى الهواء الطلقِ
وأنَّ صدري صارَ يا حبيبتي
كنيسةً مفتوحةً لكلِّ أهلِ العشقِ..

مِنَ الْأَرْشِيفِ

"مع حَبِّي للأبَد"

(من خطابٍ لفلانهُ)

"مع أشواقِي التي ليست تموتُ.."

(تحتها توقيع ريمُ)

"إنَّني عاشقَةٌ حتَّى النهاية.."

(صورة مأخوذةٌ بين بنات المدرسة.. وعليها حرفُ ميمٍ..)

"وسأبقى يا حبيبي لك وحدك.."

(صورة أخرى على البحر عليها حرفُ سينُ)

.. وقضيتُ الليلَ أسترجعُ أوراقِي القديمَه

وخطاباتِ الغرامِ

وتصاویرِ اللواتي..

كُنَّ في عمري كأسرابِ الحَمَامِ

والعباراتِ التي كانتُ على قلبي بَرْدًا وسلامَ

وتسلّيتُ كثيرًا..

وتبسّمتُ كثيرًا..

وأنا أفتحُ كنزًا عمرُهُ عشرونَ عامٍ..

.. أينَ مَنْ كُنَّ حبيباتي، وَمَنْ أرسلَنَ لي هذا الكلامَ

مَنْ تزوجَنَ تزوجَنَ..

وَمَنْ أنجبَنَ أنجبَنَ..

وَمَنْ ضِغْنَ بأعماقِ الظلامِ..

والخطاباتُ التي أرسلَناها..

لم تكنْ إلّا كلامًا في كلامِ

والموائيقُ التي أعطيتها..

كلُّها طارتْ كأسرابِ الحمامِ

أه.. كم ينقلبُ الإنسانُ في عشرينَ عامٍ..

جِسْمُكَ خَارِطَتِي

زَيْدِيْنِي عِشْقًا.. زَيْدِيْنِي
يَا أَحْلَى نَوْبَاتِ جُنُونِي
يَا سَفَرِ الْخَنْجَرِ.. فِي أَنْسِجَتِي
يَا غُلْغَلَةَ السِّكِّينِ..
زَيْدِيْنِي غَرَفًا يَا سَيِّدَتِي..
إِنَّ الْبَحْرَ يِنَادِيْنِي
زَيْدِيْنِي مَوْتًا..
عَلَّ الْمَوْتَ، إِذَا يَفْتُلُّنِي، يُحْيِيْنِي..

•

جِسْمُكَ خَارِطَتِي.. مَا عَادَتْ
خَارِطَةُ الْعَالَمِ تَعْنِيْنِي..
أَنَا أَقْدَمُ عَاصِمَةِ الْحُزْنِ..
وَجُرْحِي نَقْشٌ فِرْعَوْنِي
وَجَعِي.. يَمْتَدُّ كَبُقْعَةٍ رَئِيَتْ
مِنْ بِيْرُوْتٍ.. إِلَى الصِّينِ..
وَجَعِي قَافِلَةً.. أَرْسَلَهَا
خُلَفَاءُ الشَّامِ.. إِلَى الصِّينِ
فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ لِلْمِيْلَادِ..

وضاعت في فم تينين..

•

عصفورة قلبي، نيساني
يا رمل البحر، يا غابات الزيتون
يا طعم الثلج، وطعم النار..
ونكهة كُفري، ويقيني
أشعر بالخوف من المجهول.. فأويني
أشعر بالخوف من الظلماء.. فضميني
أشعر بالبرد.. فعطيني
إحكي لي قصصاً للأطفال..
اضطجعي فُربي..
غنيني..

•

فأنا من بدء التكوين
أبحث عن وطن لجبيني..
عن شعر امرأة..
يكتبني فوق الجدران.. ويمحوني
عن حب امرأة.. يأخذني
لحدود الشمس.. ويرميني
عن شقة امرأة.. تجعلني

كَغُبَارِ الذَّهَبِ الْمَطْحُونِ..

•

نَوَّارَةَ عُمْرِي. مَرَوْحَتِي

قَنْدِيلِي. بَوَّاحَ بَسَاتِينِي

مُدِّي لِي جِسْرًا مِنْ رَائِحَةِ اللَّيْمُونِ..

وَضَعِينِي مُشْطًا عَاجِبًا..

فِي عَتَمَةِ شَعْرِكَ.. وَأَنْسِينِي

أَنَا نُقْطَةُ مَاءٍ.. حَائِرَةٌ

بَقِيَتْ فِي دَفْتَرِ تَشْرِينِ

يَذْهَبُنِي حُبُّكَ.. مِثْلَ حِصَانٍ قَوْقَازِيٍّ مَجْنُونِ

يَرْمِينِي تَحْتَ حَوَافِرِهِ..

يَتَغَرَّغُرُ فِي مَاءِ عُيُونِي..

•

زَيْدِينِي عُنْفًا.. زَيْدِينِي

يَا أَحْلَى نَوْبَاتِ جُنُونِي

مِنْ أَجْلِكَ أَعْتَقْتُ نِسَائِي

وَشَطَّبْتُ شَهَادَةَ مِيلَادِي

وَقَطَعْتُ جَمِيعَ شَرَايِينِي..

وَبَرُّ الْكَشْمِيرِ

لا وقتَ لدينا للتفكير..
أعصابي ليست من خَشَبٍ
وشفاهُكِ ليست من قصديرٍ
يذكُكِ المظمورةُ تحت يدي..
منديلٌ مشغولٌ بحريزٍ
ومفاتيحُ جسمك لا تُحصَى
والعمرُ قصيرٌ..
•

لا وقتَ لدينا للتفكير..
فأنا أتعاطى الشعرَ.. ولا أتعاطى – سيّدي – التفكيرَ
عاريةً أنتِ.. كنّصلُ السيف..
ونهدكِ يحملني.. ويطيّر..
وأنا أتقلّبُ فوق الريش..
وأغرقُ في وَبَرِ الْكَشْمِيرِ..
فأمانًا.. يا أمطارَ الفلّ..
أمانًا.. يا وَبَرَ الْكَشْمِيرِ
واقتربي.. يا جُزَرَ البُلُورِ..

فإنَّ الموتَ عليكِ مُثيرٌ..

•

عيناكِ.. بحالةٍ تَعْتِمِ

والجوُّ مطيرٌ..

وأنا لا أطلبُ تفسيرًا

ما قَتَلَ الحبَّ سوى التفسيرِ

إنِّي أهواكِ.. وذاكرتي

في أقصى حالات التخديرِ

أهواكِ.. وأجهلُ ماذا كنتُ..

ومن سأكونُ..

وأينَ أصيرُ..

أهواكِ.. إلى حدِّ التدميرِ

وأسيرُ إليكِ كما البوذيُّ

إلى أعماق النار يسيرُ..

•

سيِّدتي!

هذا عصرُ العُنفِ..

وعصرُ الجنسِ..

وعصرُ الدهشةِ والتغييرِ..

فلنهرُبْ من سيفِ السيِّفِ،

وقصَّةِ عنترَةَ والزيرِ..

مدفونٌ جسمك، تحت الرمل الساخن، من أيام جريز
مهروسٌ نهْذُك، مثلَ شريحة لحمٍ في أسنان أميرٍ..
لا وقتَ لدينا للتاريخ..
فنصفُ حوادثه تزويرٌ..

•

إقتربي..
إقتربي منِّي..
ولنكسرُ آلاف الأشياء..
فلا تعميرٍ.. بلا تكسيرٍ
من جسمك تنطلقُ العزَواتُ..
ومنهُ.. سيبتدئُ التحريرُ..

قَصِيدَةُ التَّحَدِّيَّاتِ

أَتَحَدَّى كُلَّ عَشَّاقِكِ يَا سَيِّدَتِي
من ملوكٍ،
ومشاهيرٍ،
وفُؤَادِ عِظَامٍ..
أَنْ يَكُونُوا صَنَعُوا تَخْتَكِ مِنْ رِيَشِ النَّعَامِ..
أَوْ يَكُونُوا أَطْعَمُوا نَهْدِيكِ.. يَا سَيِّدَتِي
بَلَّحِ الْبَصْرَةَ..
أَوْ تُوتِ الشَّامَ..
أَتَحَدَّاهُمْ جَمِيعًا..
أَنْ يَخْطُؤُوا لَكَ مَكْتُوبَ هَوًى
كَمَكَاتِيْبِ غِرَامِي..
أَوْ يَجِينُوكِ – عَلَى كَثْرَتِهِمْ –
بَحُرُوفِ كَحُرُوفِي، وَكَلَامِ كَلَامِي..

•

أَتَحَدَّى..
مَنْ إِلَى عَيْنِيكِ، يَا سَيِّدَتِي، قَدْ سَبَقُونِي
يَحْمِلُونَ الشَّمْسَ فِي رَاحَاتِهِمْ..
وَعُقُودَ الْيَاسْمِينِ..

أُتَحَدَّى كُلَّ مَنْ عَاشَرْتَهُمْ
مِنْ مَجَانِينٍ، وَأَطْفَالٍ، وَمَقْقُودِينَ فِي بَحْرِ الْحَنِينِ
أَنْ يُحِبُّوكَ بِأَسْلُوبِي، وَطَيْشِي، وَجُنُونِي..
أُتَحَدَّى..

كُنْتُ الْعَشَقَ.. وَمَخْطُوطَاتِهِ
مَنْذُ آلَافِ الْقُرُونِ..

أَنْ تَرَى فِيهَا كِتَابًا وَاحِدًا
فِيهِ، يَا سَيِّدَتِي، مَا ذَكَرُونِي
أُتَحَدَّاكِ أَنَا.. أَنْ تَجِدِي
وَطَنًا مِثْلَ فَمِي..
وَسِرِيرًا دَافِنًا.. مِثْلَ عُيُونِي

•

أُتَحَدَّى..
كُلَّ مَنْ جَاوُوكِ، يَا سَيِّدَتِي، مِنْ آسِيَا
بَصْنَادِيقِ الْحُلَى، وَقَوَارِيرِ الْعَطُورِ
فَمِنْ الصِّينِ الْأَوَانِي
وَمِنْ الْهِنْدِ الْبَخُورِ..
أُتَحَدَّى..

كُلَّ مَنْ جَاوُوكِ مِنْ إِفْرِيقِيَا
بَصَنُوفِ الْعَاجِ، أَوْ جِلْدِ النُّمُورِ
وَاشْتَرُوا حَبَّكَ يَا سَيِّدَتِي
بَخْرَافِيِّ الْمُهُورِ..

أتحدّاهم جميعاً..

أن يكونوا اكتشفوا..

كيف تغفو بين أهدائك آلاف الطيور

أو يكونوا اقتنعوا..

أن نهديك يدوران كما الشمس تدور..

أتحدّاك أنا.. أن تذكرني

رجلاً من بين من أحببتهم

أفرغ الصيف بعينيك.. وفيروز البحور

أتحدّي..

مُفردات الحبّ في شتّى العصور

والكتابات على جدران صيدون وصور

فاقرأ أي أقدم أوراق الهوى..

تجديني دائماً بين السطور

إنني أسكن في الحبّ..

فما من قبلة..

أخذت.. أو أعطيت

ليس لي فيها حلول أو حضور..

أتحدّي أشجع الفرسان.. يا سيّدي

وبواريد القبيلة..

أتحدّي من أحبوك ومن أحببتهم

منذ ميلادك.. حتى صرت كالنخل العراقي.. طويله

أتحدّاهم جميعاً..

أن يكونوا قطرة صغرى بحري..

أو يكونوا أطفالاً أعمارهم
مثلما أطفأتُ في عينيكِ عُمرِي..
أتحدّاكِ أنا.. أنْ تجدي
عاشقاً مثلي..
وعصرًا ذهبيًا.. مثلَ عصري..
فارحلي، حيثَ تريدِينَ، ارحلي..
واضحكي،
وابكي،
وجُوعي،
وتعرّي..
فأنا أعرفُ أنْ لنْ تجدي
غابةً فيها تنامينَ كصدري..

بَرِيدُ بَیروت

أَكْتُبُ مِنْ بَیروتَ، یا حَبِیبتِی

حِیثُ المَطَرُ..

مَحْبُوبَةٌ قَدِیمَةٌ تَزورُنَا بَعْدَ سَفَرٍ

أَكْتُبُ مِنْ مَقْهَى عَلَی البَحْرِ..

وَأَیلولُ الحَزینُ بَلَّلَ الجَرِیدَةَ

وَأَنْتِ تَخْرِجِینَ کُلَّ لَحْظَةٍ..

مِنْ قَدَحِ القَهْوَةِ.. یا حَبِیبتِی

وَأَسْطُرُ الجَرِیدَةِ..

•

.. مَضَتْ شُهُورٌ خَمْسَةٌ..

هَلْ أَنْتِ، یا صَدِیقَتِی، بَخِیرٌ؟

أَخْبَارُنَا عَادِیَّةٌ جَدًّا..

وَبَیروتُ – کَمَا عَرَفْتِهَا – فِی أَوَّلِ الشِّتَاءِ

مَشْغُولَةٌ بِحَسَنِهَا کَأَكْثَرِ النِّسَاءِ

عَاشِقَةٌ لِنَفْسِهَا.. کَأَكْثَرِ النِّسَاءِ

طَیْبَةٌ. قَاسِيَةٌ

ذَاکِرَةٌ. نَاسِيَةٌ

کَأَكْثَرِ النِّسَاءِ..

بيروتُ في الخريف.. يا حبيبتِي

مشتاقَةٌ إليك..

أَيَّتْهَا القُريْبَةُ البَعِيدَةُ

أَيَّتْهَا المدهْشَةُ الحُضُورُ، كالْقَصِيدَةِ..

أَمْطَارُهَا مُشْتَاقَةٌ إِلَيْكَ..

أَحْجَارُهَا مُشْتَاقَةٌ إِلَيْكَ..

وَبَحْرُهَا. سَافِرٌ مِنْ شَطَائِنِهِ

وَصَبٌّ فِي عَيْنَيْكَ..

•

بيروتُ يا حبيبتِي..

في هَذِهِ الأَيَّامِ، كالْخِرَافَةِ

أَوْرَاقُ أَيْلُولٍ عَلَى الأَرْضِ نَحَاسٌ وَدَهَبٌ

و(شَارِعُ الحُمْرَاءِ) يَا حبيبتِي

ثَوْبٌ مُوشَى بِالْقَصَبِ

الله. كَمْ أَحْتَاجُ يَا حبيبتِي إِلَيْكَ

حِينَ يَجِيءُ مَوْسَمُ الدَّمُوعِ

كَمْ بَحَثْتُ يَدَايَ عَنْ يَدَيْكَ

فِي زَحَةِ الشَّوَارِعِ المَبْلَلَةِ

يَا زَهْرَةَ اللُّؤْدِ فِي دِفَاتِرِي

يَا وَجْعِي الجَمِيلَ، يَا هَوَايَتِي المَفْضَلَةَ..

•

أَكْتُبُ يَا حَبِيبَتِي مِنْ مَطْعِمٍ..
كُنَّا اكْتَشَفْنَاهُ مَعًا.. فِي (الرَّمْلَةِ الْبَيْضَاءِ)
طَاوَلْتِي تَتْرَكْنِي..
كَرَّاسْتِي تَتْرَكْنِي..
ذَاكَرْتِي تَتْرَكْنِي..
وَتَتَّبِعُ الْعِمَامَ..
وَالْمَقْعَدُ الثَّانِي الَّذِي مَلَأْتِهِ..
بِشَاشَةٍ وَرَقَةٍ.. فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ
يِرْفُضْنِي..
يَرَسُمُ حَوْلَ مَقْعَدِي
إِشَارَةً اسْتَفْهَامَ..

•

أَكْتُبُ سَطْرًا بَاكِئًا..
أَبْدُوهُ بِالشَّوْقِ وَالسَّلَامِ
أَشْطُبُهُ..
أَعَاشِقُ مِثْلِي أَنَا.. يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ؟
أَكْتُبُ سَطْرًا ثَانِيًا..
أَشْطُبُهُ..
أُبْحَثُ عَنْ أَصَابِعِي..
عَنْ لُغَتِي.. عَنْ عِلْبَةِ الْكَبْرِيتِ..
عَنْ عِبَارَةٍ مَا وَرَدَتْ فِي كُتُبِ الْغَرَامِ
تَسِيطِرُ الْفَوْضَى عَلَى مِشَاعِرِي.

يلقني الظلام..

ما أصعب الكلام..

نكتبه لامرأةٍ نُحبُّها.

ما أصعب الكلام..

أَسْئَلَةُ إِلَى اللَّهِ

يا إلهي!

عندما نعشقُ ماذا يعترينا؟

ما الذي يحدثُ في داخلنا؟

ما الذي يُكسِرُ فينا؟

كيف نرتدُّ إلى طور الطفولة

كيف تغدو قطرة الماء محيطًا..

ويصير النخلُ أعلى..

ومياه البحر أحلى..

وتصيرُ الشمسُ إسوارًا من الماسِ ثمينا

حين نغدو عاشقين..

يا إلهي:

عندما يضربنا الحبُّ على غير انتظار..

ما الذي يذهبُ منَّا؟

ما الذي يولدُ فينا؟

كيف نغدو كالتلاميذ الصغار..

أبرياءً سادجين..

ولماذا عندما تضحكُ محبوبتُنَا؟

تُمطر الدنيا علينا ياسمينًا..

ولماذا عندما تبكي على رُكبتنا

يُصْبِحُ الْعَالَمُ عَصْفُورًا حزينًا؟

يا إلهي:

ما يُسَمَّى ذلك الحبُّ الذي ظلَّ قرزناً وقرونا..

يقتلُ القتلَى. ويحتلُّ الحُصُونَا

ويُذِلُّ الأقوياء القادرينا

ويُذِيبُ البُسْطَاءَ الطيبينا

كيف يغدو شَعْرُ من نهوى سريراً من ذَهَبْ؟

وفمُ المحبوب خمرًا وعنبُ

كيف نمشي وَسَطَ النارِ..

ونلتذُّ بالأوان اللَّهَبْ؟

كيف نغدو – عندما نعشَقُ – أسرى

بعدما كنَّا ملوكًا فاتحينًا..

•

ما نُسمِّي ذلك الحبَّ الذي يدخُلُ كالسكِّين فينا؟

أنسمِّيهِ صُداًعاً؟

أم نسمِّيهِ جُنونا؟

كيف يغدو الكونُ في ثانيةٍ

واحةً خضراءَ.. أو ركنًا حنونًا.

حين نغدو عاشقينًا..

•

يا إلهي:

ما الذي يحدثُ في منطقتنا؟
ما الذي يحدثُ فينا؟
كيف تغدو لحظةُ الشوق سنيـنا
ويصير الوهمُ في الحبِّ يقينـا
كيف تختلُّ أسابيعُ السنَّة؟
كيف يُلغي الحبُّ كلَّ الأزمنَّة؟
فيصير الصيفُ يأتي في الشتاءِ
ويصير الورْدُ ينمو في بساتين السماءِ..
حين نغدو عاشقينـا..

•

يا إلهي:
كيف نستسلمُ للحُبِّ، ونُعطيهِ مفاتيحَ الأمانِ
وإليه نحملُ الشمعَ، وعطرَ الزعفرانِ
كيف ننهار على أقدامه مستغفرينـا..
كيف نسعى لحماة.. قابلينا
كلَّ ما يفعل فينا..
كلَّ ما يفعل فينا..

•

يا إلهي:
إن تكنُ ربًّا حقيقِيًّا.. فدعنا عاشقينـا

تَهْوِيَمَات صُوفِيَّة لِتَكْوِين امْرَأَة

لو لم تَكُونِي أَنْتِ فِي حَيَاتِي
كُنْتُ اخْتَرَعْتُ امْرَأَةً مِثْلَكَ يَا حَبِيبَتِي
قَامْتُهَا طَوِيلَةً كَالسَيْفِ
وَعَيْنُهَا صَافِيَةٌ..
مِثْلَ سَمَاءِ الصَّيْفِ..
كُنْتُ رَسَمْتُ وَجْهَهَا عَلَى الْوَرَقِ
كُنْتُ حَفَرْتُ صَوْتَهَا عَلَى الْوَرَقِ
كُنْتُ جَعَلْتُ نَهْدَهَا..
حَمَامَةً شَامِيَّةً..
وَشُرْفَةً بَحْرِيَّةً
تَلَامَسُ الْمَاءَ، وَلَا تَخْشَى الْغُرُقَ
كُنْتُ جَعَلْتُ شَعْرَهَا
مَزْرَعَةً مِنَ الْحَبَقِ
وَحَصْرُهَا قَصِيدَةً
وَنَعْرُهَا كَأْسَ عَرَقٍ
كُنْتُ اشْتَغَلْتُ لَيْلَةً بِطَوْلِهَا..
أَصَوْرُ ارْتِعَاشَةِ الْعَقْدِ..
وَمَوْسِيقَى الْخَلْقِ..

لو لم تكوني أنتِ في لوح القَدَرِ
لكنتُ كَوْنُكَ يا حبيبتِي
بصورةٍ من الصُّورِ
كنتُ استعرتُ قطعةً من القَمَرِ
وحَفْنَةً من صَدَفِ البحرِ.. وأضواءِ السَحَرِ
كنتُ استعرتُ البحرَ.. والمسافرينَ.. والسَفَرِ
كنتُ اخترعتُ الغيمَ يا حبيبتِي
– من أجل عينيكَ – وأنزلتُ المطرَ..
لو لم تكوني أنتِ في حياتِي..
ما كان في الأرضِ هواءٌ.. أو حياةٌ.. أو شَجَرُ
ما كان في الأرضِ بشرٌ..

•

لو لم تكوني أنتِ يا حبيبتِي.. في الواقعِ
كنتُ اشتغلْتُ أشهرًا.. وأشهرًا
على الجبينِ الواسعِ..
وأشهرًا.. وأشهرًا
على الفمِ الرقيقِ والأصابعِ..
كنتُ خلقتُ امرأةً مثلكِ يا حبيبتِي
شفافة اليدينِ
كنتُ على أهدابها.. رميتُ نجمتينِ
كنتُ على سريرها أضأتُ شمعتينِ
لكنَّ مَنْ مثلكِ يا حبيبتِي..

أَيْنَ تَكُونُ.. أَيْنَ؟

قَصيدة غير منتهية في تعريف العِشق

١

.. عندما قرّرتُ أن أكتبَ عن تجربتي في الحبّ..

فكّرتُ كثيرًا..

ما الذي تُجدي اعترافاتي؟

وقبلي كتب الناس عن الحبّ كثيرًا..

صوّروه فوق حيطان المغارات،

وفي أوعية الفخار والطين، قديمًا

نقشوه فوق عاج الفيل في الهند..

وفوق الورق البرديّ في مصر،

وفوق الرزّ في الصين..

وأهدوه القرايين، وأهدوه النُّدُورا..

•

عندما قرّرتُ أن أنشرَ أفكاري عن العِشق..

تردّدتُ كثيرًا..

فأنا لستُ بقسّيس،

ولا مارستُ تعليمَ التلاميذ،

ولا أوْمَن أن الورد..

مضطرٌّ لأن يشرحَ للناس العبيرَ..

ما الذي أكتب يا سيّدي؟

إنّها تجربتي وحدي..

وتعيني أنا وحدي..

وتُغيني من التاريخ وحدي..

إنّها السيفُ الذي يثقبني وحدي..

فأزدادُ مع الموت حُضوراً..

٢

عندما سافرتُ في بحركِ يا سيّدي..

لم أكنُ أنظر في خارطة البحر،

ولم أحمل معي زورقَ مَطَاطٍ..

ولا طوقَ نِجاةٍ..

بل تقدّمتُ إلى ناركِ كالبودي..

واخترتُ المصيرا..

لذّتي كانتُ بأن أكتبَ بالطبشور..

عُنواني على الشمسِ..

وأبني فوق نهديكِ الجُسورا..

٣

حين أحببتُك..

لاحظتُ بأنَّ الكَرَزَ الأحمرَ في بستاننا
أصبحَ جَمْرًا مُسْتَدِيرًا..
وبأنَّ السَمَكَ الخائفَ من صُنَّارة الأولاد..
يأتي بالملايين ليُلْقِي في شواطئنا البُذُورا
وبأنَّ السَرَّو قد زاد ارتفاعًا..
وبأنَّ العُمَرَ قد زاد اتِّساعًا..
وبأنَّ الله..
قد عادَ إلى الأرض أخيرًا..

٤

حينَ أحببتُك..
لاحظتُ بأنَّ الصيفَ يأتي..
عَشْرَ مَرَّاتٍ إلينا كُلَّ عام..
وبأنَّ القمحَ ينمو..
عَشْرَ مَرَّاتٍ لدينا كُلَّ يومٍ
وبأنَّ القَمَرَ الهاربَ من بلدتنا..
جاء يستأجر بيتًا وسريًّا..
وبأنَّ العَرَقَ الممزوجَ بالسُكَّر والينسُون..
قد طابَ على العشق كثيرًا..

حين أحببتُك..

صارَتْ ضحكةُ الأطفال في العالم أحلى..

ومذاقُ الخبز أحلى..

وسقوطُ الثلج أحلى..

ومُواءُ القِطَط السوداء في الشارع أحلى..

ولقاءُ الكفِّ بالكفِّ على أرصفة (الحمراء) أحلى..

والرسوماتُ الصغيرة التي نتركها في فُوطَة المطعم أحلى..

وارتشافُ القهوة السوداء..

والتدخين..

والسهرة في المسرح ليلَ السبت..

والرملُ الذي يبقى على أجسادنا من عطلة الأسبوع،

واللونُ النحاسيُّ على ظهرك، من بعد ارتحال الصيف،

أحلى..

والمجالاتُ التي نمنا عليها..

وتمدّدنا.. وثرثرنا لساعاتٍ عليها..

أصبحتُ في أفق الذكرى طيوراً..

حين أحببتُك يا سيّدي

طوّبوا لي..

كلّ أشجار الأناس بعينيك..
وآلات الفداين على الشمس،
وأطوني مفاتيح السماوات..
وأهدوني النياشين
وأهدوني الحريرا

٧

عندما حاولت أن أكتب عن حبي..
تعدّبت كثيرا..
إنني في داخل البحر..
وإحساسي بضغط الماء لا يعرفه
غير من ضاعوا بأعماق المحيطات دهورا..

٨

ما الذي أكتب عن حُبك يا سيّدي؟
كلّ ما تذكره ذاكرتي..
أنني استيقظت من نومي صباحا..
لأرى نفسي أميرا..

الشَّجَرَة

كُونِي..

كُونِي امْرَأَةً حَاطِرَةً..

كِي أَتَأَكَّدَ – حِينَ أَضْمُكِ

أَنْكِ لَسْتَ بِقَايَا شَجَرَةٍ..

إِحْكِي شَيْئًا..

قُولِي شَيْئًا

عَنِّي. إِبْكِي. عِيشِي. مُوتِي.

كِي لَا يُرَوِّى يَوْمًا عَنِّي

أَنْ حَبِيبَةً قَلْبِي.. شَجَرَةً..

•

كُونِي السُّمَّ.. وَكُونِي الْأَفْعَى

كُونِي السِّحْرَ.. وَكُونِي السَّحَرَةَ

لُقِّي حَوْلِي..

لُقِّي حَوْلِي..

كِي أَتَحَسَّسَ دَفْءَ الْجِلْدِ، وَعَطَرَ الْبَشَرَةَ..

كِي أَتَأَكَّدَ – يَا سَيِّدَتِي –

أَنْ فُرُوعَكَ لَيْسَتْ حَشَبًا..

أَنْ جُذُورَكَ لَيْسَتْ حَطَبًا..

سيلي عَرَقًا..

مُوتي غَرَقًا..

كي لا يَروى يوماً عَنِّي

أَنِّي كُنْتُ أَغْزِلُ شَجَرَهُ..

•

كُوني فَرَسًا. يا سَيِّدَتِي

كُوني سَيْفًا يَقْطَعُ..

كُوني قَبْرًا..

كُوني حَنْفًا..

كُوني شَفَةً لَيْسَتْ تَشْبَعُ

كُوني صَيْفًا إِفْرِيقِيَّ..

كُوني حَقْلَ بَهَارٍ يَلْذَعُ..

كُوني الْوَجَعُ الرَّائِعَ.. إِنِّي

أُصْبِحُ رَبًّا.. إِذْ أَتَوَجَّعُ

غَنِّي. إِبْكِي. عِيشِي. مُوتِي

كي لا يَروى يوماً عَنِّي..

أَنِّي كُنْتُ أُعَانِقُ شَجَرَهُ..

•

كُوني امْرَأَةً.. يا سَيِّدَتِي..

تَطْحَنُ فِي نَهْدِهَا الشُّهُبَا

كُوني رَعْدًا

كُونِي بَرًّا

كُونِي رَفُضًا

كُونِي غَضَبًا

خَلِّي شَعْرَكَ يَسْقُطُ فَوْقِي..

ذَهَبًا.. ذَهَبًا

خَلِّي جِسْمَكَ فَوْقَ فِرَاشِي

يَكْتُبُ شِعْرًا..

يَكْتُبُ أَدَبًا..

خَلِّي نَهْدَكَ فَوْقَ سَرِيرِي

يَحْفَرُ قَدْرَهُ

كُونِي بَشَرًا يَا سَيِّدَتِي..

كُونِي الْأَرْضَ، وَكُونِي الثَّمَرَةَ..

كِي لَا يُرَوِّى يَوْمًا عَنِّي..

أَتِي كُنْتُ أَضَاجِعُ.. شَجَرَهُ..

النِّسَاءُ وَالْمَسَافَات

أتركيني.. حتى أفكّر فيك
وابْعُدِي خطوتين كي أشتيهك

لا تَكُونِي حبيبتِي رَغْمَ أَنفِي
فالبقاء الطويل لا يُبقيك

إستعِضِي عَنِّي.. بأيِّ كتابٍ
أو صديقٍ، أو موعدٍ، أرجوك..

أنتِ في القرب تخسرِينَ كثيرًا
فأذهبي أنتِ.. واتركي لي شكوكي..

نهْذِكِ الآن.. قد تَخَلِّي عن العرش
وقد كَانَ من كِرَامِ الملوكِ

وشذاكِ المُثيرُ صارَ رمادًا
أفأرثِي شذاكِ، أم أَرثِيكِ

سافري.. سافري إلى جُزُرِ الحُلُمِ
فإنَّ الرحيلَ قد يُدْنِيكِ

لا تُبْحي جميعَ ما أتمنّى

وارفُضي دعوتي إذا أدعوكِ

ما تمنيتُ أن أُحيلَكِ زراً
في قميصي، أو معطفاً ارتديكِ

أنتِ مثلُ النبيذِ يُحسى برفقٍ
فلماذا بلحظةٍ أنْهيكِ؟

•

آه.. يا مرأةً بغير ذكاءٍ
أو تبكين؟ ما الذي يُبكيكِ؟

أنتِ أحلى – تأكّدي – أنتِ أحلى
حينَ في عالمِ الروى ألتقيكِ

إنهضي عن تنفُسي لَحَظَاتِ
فالحصارُ العقيمُ لا يُجديكِ

شهوتي قد تخشَّبتْ.. وشفاهي
لم تعدْ، يا صديقتي، تكفيكِ

إنني قد نسيْتُ أبعادَ جسمي
في متاهاتِ شعركِ المفكوكِ

فامنحيني ولو إجازةً يومٍ..

عَلَّنِي. عَلَّنِي أَفَكِّرُ فِيكَ..

•

قَدْ تَكُونِينَ كُلَّ شَيْءٍ.. وَلَكِنْ

لَنْ تَكُونِي رَبًّا بَعِيرِ شَرِيكِ..

تَنويعات موسيقيّة عَنْ امرأة مُتجرّدة

١

كَانَ فِي صَدْرِكَ دِيكَانِ جَمِيلَانِ..

يَصِيحَانِ كَثِيرًا..

وَيَنَامَانِ قَلِيلًا..

وَأَنَا كُنْتُ بَلَا نَوْمٍ..

وَكَانَ الشَّرْشَفُ الْمَشْغُولُ بِالْإِبْرَةِ..

مَزْرُوعًا عَصَافِيرَ..

وَوَرْدًا..

وَنُخِيلًا..

كَيْفَ يَأْتِي النَّوْمُ يَا سَيِّدَتِي؟

كَيْفَ يَأْتِي؟

وَحَقُولُ الشَّاي فِي سَيْلَانٍ، تَدْعُونِي..

وَأَدْغَالُ الْبَهَارَاتِ..

وَجَوْزِ الْهِنْدِ..

لَا تَتْرَكَ لِلنَّوْمِ سَبِيلًا..

أَنْتِ نَامِي.. فَأَنَا مِنْ يَوْمِ مِيلَادِي بَلَا نَوْمٍ..

وَأَعْصَابِي كَأَسْلَافٍ مِنَ الْقَتَنِ..

وَوَجْهِي كَقَصَاصَاتِ الْمَجَلَّاتِ الْقَدِيمَةِ..

ما احترفتُ القَتْلَ من قبلُ.. ولكنُ..
سَمَكُ القَرشِ الذي يقفزُ من خلجانِ نهديكِ
البدائيين.. يُغريني بتنفيذِ الجريمةِ

٢

.. كان في صدركِ حقلانِ من الفُطْنِ..
وكانَ البُرْئُوسُ الأحمرُ.. مفتوحًا من النصفِ..
وجُرْحِي كان مفتوحًا من النصفِ..
وكانَ المرمزُ الأخضرُ في الحمَامِ..
مذبوحًا من الشوقِ..
وكانت رغوَةُ الصابونِ، واللاؤُنْدِ..
تجتأُ البروايزَ
وتجتأُ الثريَّاتِ..
وتجتأُ مساماتي..
وترميني على الأرضِ شظايا..

٣

كان نهداكِ حُرُوفَيْنِ صغيرَيْنِ..
وكانا.. يأكلانِ العُشْبَ من صدري..
وكانَ الصوفُ من كَشْمِيرَ.. منثورًا على وجهي..
وقمصاني..

وفي كُلِّ الزوايا..
كنتُ كالبلّور مكسورًا على الأرض..
وكانت قهوتي تشربني..
والبرئُسُ المبتلُّ بالماء..
يناديني..
ويُهديني ملايين الهدايا..

٤

.. كان نهداكِ حصانين بلا سرج..
وكانا يشربان الماء من قعر المرايا..
وأنا من أُمَّةٍ تحترم الخيل..
وما للخيل من طبعٍ كريم.. وسجايا
آه لو قدّمتُ لوزًا للحصانين..
وتينًا.. وزبيبًا..
آه..

لكنّ هاجرتُ منّي يدايا..
شهوتي سيفٌ حجازي..
ونهداكِ كأرض الروم..
من ماتَ على أسوارها..
كفّر عن كلِّ الخطايا..

كان نهذاك ملكين عظيمين..
 وكانا يحكمان البر والبحر..
 وكان العدل موفورا..
 وكان الخبر موفورا..
 وكان الشعب يدعو للملكين.. بطول العمر..
 في كل الميادين.. وفي كل التكايا..
 وأنا من حسن حظي أنني..
 عاصرت نهديك..
 وقدمت ولاني لهما..
 مثل ملايين الرعايا..

.. كان يا ما كان..
 في صدرك أسماك.. وخيل.. وذئب..
 وملوك.. وزغاليل حمام..
 وزغاريد صبايا..
 وأنا كنت على سجادة الكاشان مرميا..
 ومن حولي نثارات شمس..
 وفتافيت مرايا..

اللُّجُوء

لو كنتُ أعرفُ ما أريدُ..
ما جئتُ ملتجئاً إليك كهرةٍ مذعورةٍ..
لو كنتُ أعرفُ ما أريدُ..
لو كنتُ أعرفُ أينَ أقضي ليلتي
لو كنتُ أعرفُ أينَ أسندُ جبهتي
ما كان أغراني الصعودُ
لا تسألني: من أينَ جئتُ، وكيفَ جئتُ، وما أريدُ..
تلكَ السؤالُ السخيفةُ ما لديَّ لها ردودُ..

•

ألديكِ كبريتٌ وبعضُ سجائرٍ؟..
ألديكِ أيُّ جريدةٍ
ما همَّ ما تاريخُها
كلُّ الجرائدِ ما بها شيءٌ جديدٌ..
ألديكِ – سيّدتني – سريرٌ آخرُ
في الدار، إنني دائماً رجلٌ وحيدُ
أنتِ ادخلي نامي..
سأصنعُ قهوتي وحدي،
فإنني دائماً.. رجلٌ وحيدُ

تغتالني الطُّرقاتُ.. ترفضني الخرائطُ والحدودُ
أما البريدُ.. فمن قرونٍ ليس يأتيني البريدُ

•

هاتي السجائرَ. واختفي
هي كلُّ ما أحتاجهُ..
هي كلُّ ما يحتاجهُ الرجلُ الوحيدُ

•

لا تُقفلِي الأبوابَ خلفكِ..
إنَّ أعصابي يغطّيها الجليدُ
لا تُقفلِي شيئاً..
فإنَّ الجنسَ آخرُ ما أريدُ..

حوار مع امرأة من خشب

لو كنت في مكاني..

ما تفعلين يا ثرى لو كنت في مكاني؟

مضطرة أن تعشقي..

عشرين ألف مرة في اليوم..

وتُدبجي، كالدبك، يا صديقتي

عشرين ألف مرة في اليوم..

وتياسي. وتضجري

وتُرعدِي. وتُطري

وتؤمنِي. وتكفري

عشرين ألف مرة في اليوم..

لو كنت، يا صديقتي، مضطرة

أن تلعبِي مثلي على أكثر من حصان..

وترفُصي مثلي..

على ألسنة اللهب والدخان

لو ابتلاكِ الله بالعشق..

كما ابتلاني..

.

ما تفعلين يا ثرى لو كنت في مكاني..

مضطرةً أن تعشقي..
قبائلاً شتّى من النساء
وتفعلي الحبّ مع الأشجار، والأحجار، والهواء
وتُشَنَّقِي مثلي على حبالِ الجنس..
في الصباح والمساء..
والصيف، والشتاء..
لو كنتِ يا صديقتي مضطرةً
أن تشربي، من غير ما ارتواء
وتشتهي، من غير ما اشتها
وتسكُني في مُدُنِ الدموع والبكاء..
لو كنتِ يا صديقتي مضطرةً..
أن ترجعي..
في آخر الليل كأيّ بهلوان..
مسحوقاً، مهزومةً..
كأي بهلوان..
منفيّةً خلفَ حدود الوقت والنواني

•

وددت يا صديقتي
أن تأخذي مكاني..
وأن تُعاني نصفَ ما أعاني..

رَصاصَةُ الرَّحمة

مثلما تطرُدُ الغيومُ الغيومًا

الغرامُ الجديدُ يمحو القديمًا

قُضِيَ الأمرُ.. والتفتُّ بأُخرى

والسماءُ استعدَّتْها، والنجومُ

لا تموتُ الخيولُ برَّدًا وجوعًا

إنَّ للعاشقين ربًّا رحيمًا..

•

إنتهتْ أزمَتي، وفُكَّتْ قيودي

بعدما كنتُ قاصرًا ويتيمًا..

وكسرتُ احتكارَ عينيكِ بالعنفِ

وأنقذتُ جيشي المهزوما..

فإذا أنتِ حائِطٌ أثريُّ

والرسومُ العلية.. لسنَ رسوما..

•

يا أنانيَّةَ الشفاهِ، اعذريني

لا يظلُّ الحليمُ دومًا حليماً

جاءَ يومُ الحسابِ بعدَ انتظارٍ

وتحدّيتُ مجدكِ المزعوما

إنني عاشقٌ سواكِ.. وعندي

امراً بدلتُ جحيمي نعيماً

هي أحلى وجهًا، وأطيبُ نفساً

وهي أشهى عطرًا، وأزكى شميماً

ما اسمُها؟ من تكونُ؟ تلكِ شؤوني

فاقطري غيرةً، وفيضي سُموماً

ليس قصدي إذلالَ نهديكِ.. لكنْ

جاءَ دوري لكي أكونَ لئيمًا..

صورة دوريان غراي

فشلتُ جميعُ محاولاتي!
في أن أفسّر موقفي..
فشلتُ جميعُ محاولاتي..
ما زلتِ تتهميني..
أنّي هوائيُّ المزاج، وnergسيُّ في جميع تصرّفاتِي..
ما زلتِ تعتبريني
كقطار نصف الليل، أنسى دائماً
أسماء رُكابي، وأوجه زائراتي..
فهوأي غيب..
والنساء لديّ مخضّ مصادفات..
ما زلتِ تعتقدين.. أنّ رسائلي
عملٌ روائي.. وأشعاري شريطُ مغامراتٍ
وبأنني رجلٌ يعيشُ حياته
من غير ذاكرةٍ، وغير مذكّرات..
وبأنني استعملتُ أجملَ صاحباتي
جسراً إلى مجدي.. ومجد مؤلفاتي..
ما زلتِ تحتجّين أنّي لا أحبُّكِ كالنساءِ الأخريات..
وعلى سريرِ العشق، لم أسعدكِ مثل الأخريات..
الله من طمّع النساء،

وكيدهنَّ..

ومن عتابٍ مُعاتباتي..

•

كم أنتِ رومسيَّةُ التفكير، ساذجةُ التجاربِ

تتصوِّرين الحبَّ صندوقاً مليئاً بالعجائبِ

وحقولَ غاردينيا..

وليلًا لازورديَّ الكواكبِ

ما زلتِ تشترطينَ..

أنْ نبقى إلى يومِ القيامةِ عاشقينَ..

وتطالبينَ بأنْ نظلَّ على الفراشِ مُمدَّدينَ

نرمي سجائرنا، ونشعلُها..

وننقرُ بعضنا كحمامتينَ..

ونظلُ أيَّامًا.. وأيامًا..

نحاولُ بعضنا بالركبتينَ..

هذا كلامٌ مُضحكٌ..

أنا لستُ أضمنُ طقسِي النفسيَّ بعد دقيقتينَ..

فلربَّما، تتبخَّرُ الأنهارُ في عينيكِ، بعد دقيقتينَ

ولربَّما تتبيَّسُ الأشجارُ في شفتيَّ..

بعد دقيقتينَ..

ولربَّما يتغيَّرُ التاريخُ بعد دقيقتينَ..

ونعودُ.. في حُفِّي حُنَّينَ..

من عالمِ الجنسِ المثيرِ..

نَعُودُ فِي حُفِّي حُنَيْنٍ..

•

فشلتُ جميعُ محاولاتي..

في أن أفسّرَ موقعي

فشلتُ جميعُ محاولاتي

فتقبّلي عشقي على عِلّاتِهِ

وتقبّلي ملّلي.. وذبذبتي.. وسوءَ تصرّفاتي

فأنا كماءِ البحر.. في مَدِّي، وفي جَزْري،

وعُمقِ تحوّلاتي..

إنّ التناقضَ في دمي، وأنا أحبُّ تناقضاتي..

ماذا سأفعلُ يا صديقةُ.. هكذا رُسِمَتْ حياتي

منذ الخليقة..

هكذا رُسِمَتْ حياتي..

أُمِّيَّة الشَّفَتَيْنِ

أُمِّيَّة الشَّفَتَيْنِ.. لَا تَتَبَرَّمي
إِنِّي أَتَيْتُكَ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا
حَتَّى أَعْلَمَكَ الْهُوَى.. فَتَعَلَّمِي
مَا زَالَ قَانُونُ الْقَبِيلَةِ حَاكِمًا
جَسَدَ النِّسَاءِ.. فَحَاوَلِي أَنْ تَحْكُمِي..
إِصْغِي إِلَيَّ.. فَإِنَّ وَقْتِي ضَيِّقٌ
وَالْقَمْحُ يَنْبُتُ مَرَّةً فِي الْمَوْسِمِ
خَلِّيكِ عَاقِلَةً.. وَلَا تَسْتَقْبَلِي
مَطَرُ الرَّبِيعِ، بِوَجْهِكَ الْمَتَجَهِّمِ
كُونِي كَمَا كُلُّ النِّسَاءِ.. فَإِنِّي
لَا أَعْرِفُ امْرَأَةً تَعِيشُ بِلَا فَمٍ

•

هَذِي تَعَالَيْمِي أَمَامَكَ.. كُلُّهَا
سَتْرَيْنَ فِيهَا جَنَّتِي.. وَجَهَنَّمِي
إِنْ كُنْتَ حَتَّى الْآنَ لَمْ تَسْتَوْعِبِي
مَا جَاءَ فِيهَا.. فَاسْأَلِي وَاسْتَفْهَمِي
أَنَا لَا أُرِيدُ عَلَيْكَ فَرْضَ مَوَاقِفِي
إِنْ كَانَ يَعْجَبُكَ الْكَلَامُ.. تَكَلَّمِي

أَوْ كُنْتَ تَرْتاحِينَ فِي شَتْمِي.. اسْتُمِي
فَالْحُبُّ بِالْإِكْرَاهِ.. لَيْسَ هُوَ إِيَّيَ
وَالْعَنْفُ – سَيِّدَتِي – يَزِيدُ تَأْزُومِي
سَأَكُونُ نَذْلًا.. لَوْ جَرَرْتُكَ لِلْهُوَى
جَرَّ النِّعَاجِ.. فَحَاوَلِي أَنْ تَفْهَمِي

•

خَلِيَّكَ هَادئةً.. فَلَيْسَ بِنَيْتِي
أَنْ أَقْلِبَ اللَّيْلَ الْجَمِيلَ لِمَاتِمِ
أَنَا لَمْ أَكُنْ يَوْمًا رَئِيسَ قَبِيلَةٍ
حَتَّى أُحِبَّكَ بِالْأُظَافِرِ وَالدِّمِ
لَكِنِّي رَجُلٌ يَحَاوِلُ دَائِمًا..
تَغْيِيرَ خَارِطَةِ السَّمَاءِ بِشَعْرِهِ
وَبِعَشْقِهِ.. تَغْيِيرَ طَقْسِ الْأَنْجَمِ..

حُبّوب منومة

تَعَبَ الكلامُ من الكلامِ
فَحُذِيَ حُبُوبَ النومِ، سَيِّدَتِي، ونامي
ما دام عُرْيُكَ لا يُحَرِّكُ شعرةً
منِّي. لماذا أنتِ عاريةٌ أمامي؟
ما دام فِعْلُ الحبِّ.. صار عقوبةً
كُبرى.. فما معنى مُقامي؟
ما دام عَطْرُكَ لا يُثِيرُ شهيتي..
ما دام جِسْمُكَ ليس في وضعِ انسجامٍ
فأنا أَفْضَلُ أن تنامي..
فنجانُ شايلِكِ باردٌ..
وصقيعُ نصفِ الليلِ مفترسٌ عظامي
وأنا أَحَدُ في الستائرِ، والمقاعدِ، والظلامِ
وأعيشُ أسوأَ حالاتِ انفصامي
أُلقي على نهديكِ نظرةً سائحٍ
وأمرٌ بالأشياء.. من غيرِ اهتمامٍ
ماذا جرى لأصابعي؟
وأنا الذي حرَّكْتُ باللمساتِ عاطفةَ الرخامِ
ماذا جرى لزوابعي؟
وأنا الذي في ذاتِ يومٍ..

كنتُ سلطانًا على عرش الغرام

ماذا جرى في داخلي؟

هل أنتِ ذاتُ المرأةِ الأولى.. التي أحببتُها من قبل عامٍ

هل أنتِ ذاتُ المرأةِ الأولى..

التي ملأتُ حياتي بالورود، وبالنجوم، وبالْحَمَامِ

هل ناهداكِ هما اللذان تركتُ فوقهما حُطامي..

إنِّي أشكُّ بما أرى..

وأشكُّ في نفسي، وفيكِ، وفي أكاذيب الغرام

فخُذني حبوبَ النوم، سيِّدتي، ونامي

فأنا أريدُ بأيِّ شكلٍ أن تنامي..

أن تنامي..

أن تنامي..

المقبرة البحريّة

لم يُعَدُّ ما بين نهديك.. حياةً أو بشرَ
لم يُعَدُّ بينهما عشبٌ..
ولا ظلٌّ شَجَرٌ..
والذين استوطنوا فوقهما
من أعرابٍ، وبدويٍّ، وحَضَرٍ..
حملوا خيمَتَهُمُ وانصرفوا
بعدما جَفَّ المَطَرُ..
•

بين نهديك قُرى محروقةٌ
وملايينُ ملايينُ الحَفَرِ..
وبقايا سُفنٍ غارقةٍ..
ودروعٍ لرجالٍ قُتلوا..
لم يَجِءَ عن واحدٍ منهم خَبَرٌ
كُلُّ من مرَّ بنهديك اختفى..
والذي ظلَّ إلى الصبح انتحَرُ..
هذه مقبرةٌ بحريّةٌ
دُفِنَ الآلافُ فيها..

من مَغُولٍ، وَمَجُوسٍ، وَتَنْزَرُ

•

لم يُعْذُ ما بين نَهْدِيكَ سَوَى شَوْكِ الضَّجَرِ

والذين افترشوا ظِلَّهُما

ورأوا في ماء عَيْنِيكَ انْعِكَاسَاتِ الْقَمَرِ

والذين انتظروا.. وانتظروا..

رحمةَ اللَّهِ، طَوِيلًا، وَأَعَاجِيبَ الْقَدَرِ..

قَرَّروا الآن السَّفَرُ..

والذين احتفلوا واستبشروا..

بملاقاة المسيح المنتظر..

تركوا نَهْدِيكَ يا سَيِّدَتِي

حَجَرًا.. فوق حَجَرٍ..

إيضاحٌ إلى مَنْ يَهْمُّهَا الأمر

لن تُغرقيني في هوالِكِ بشبرٍ ماءٍ..

فبداخلي.. مات المراهقُ من زمانٍ

وانتهى الرجلُ البدائي..

أصبحتُ محترفاً..

وصرتُ الآنَ أبرعَ في معاملة النساءِ

أُملي شروطَ الفاتحينَ على ملايين الأطباءِ

من كلِّ نهدٍ.. سوف أُجني جزيةً

وإذا عفوتُ.. فمن مواقعِ كبريائي

•

حسناً.. لا تبكي عليّ..

فأنتِ أولى بالثناء..

لستُ الغبيّ – كما افتركتِ –

وإنّما مثّلتُ دورَ الأغبياءِ

سيّانٍ عندي..

إن بقيتِ، أو ارتحلتِ مع المساءِ

أنا في شؤونِ الحبِّ، ما اعتدتُ التلقُّتَ للوراءِ..

إنْ تذهبي..

لنْ تسقُطَ الدنيا، ولنْ تنسدَّ أبوابُ السماءِ..

إنّ الكواكبَ في السماء كثيرةٌ..

جداً..

وحبُّ الصيف يمحو عادةً.. حبُّ الشتاء..

إِعْتِرَالُ التَّمَثِيلِ

هذا هو الواقعُ يا عزيزتي..
بلا مساحيقَ ولا تجميلَ
فقّرري.. ما شئتِ أن تقرّري
فالجرحُ لا يحتملُ التأجيلَ
لقد تساوى حبُّنا.. وكرهُنا
وأصبحَ البقاءُ كالرحيلِ

•

عزيزتي:
لقد قرأنا صُحُفَ الصباحِ مرّتينِ
وقد تطلّعنا إلى الساعةِ مرّتينِ
وقد تصافحنا – كما أذكر – مرّتينِ
ولم يُعُدْ أماننا ما نفعلُ
فنحنُ منذ نحو ساعتينِ
يقتلنا الفراغُ والتملُّلُ
أنا هنا.. تمتصُّني سجايري
وأنتِ مستوحشةٌ..
باردةُ اليدينِ..
فحاولي أن تفهمي..

أن طيورَ الحبِّ لا تطيرُ مرّتينِ
فالحبُّ يا صديقتي مسافرٌ
يأتي إلينا مرّةً.. ويرحلُ..

•

هذا هو الواقعُ يا عزيزتي
بحلوه، ومُرّه
بخيره، وشرّه
ووجهه القبيح والجميلُ
أعرضه عليكِ في تجرّدٍ
فأنتِ لستِ امرأةً ساذجةً
ولا أنا أحترفُ التمثيل
يا ليتني أقدر يا صديقتي
أن أُتقنَ التمثيلُ..

المذبحة

كُنَّا ثمانيةً معاً..

نتقاسمُ امرأةً جميلةً

كُنَّا عليها كالقبيلة..

كانتُ عصورُ الجاهليةِ كُلُّها

تعوي بداخلنا،

وأصواتُ القبيلة..

كُنَّا ثمانيةً..

وكانَ البدوُ فينا يصرخون.. ويرقصونَ على الوليمةِ

كُنَّا نُعَيِّرُ عن فحولتنا..

فوا حَجَلَ الفحولة..

•

كُنَّا ثمانيةً إذن..

ووجوهنا..

كانتُ مربَّعةَ الخطوطِ ومُستطيئةً

كُنَّا نهاجمُها كثيران..

وكانتُ تقبلُ الثيرانَ صابرةً ذليلاً..

كُنَّا نَمَزِمُ لحمَ نهديها..

ونفترسُ الطفولة..

ونردّد الأشعارَ والحكمَ القديمة:

"إن مات منا سيّد.."

كُنّا نردّها بإعجابٍ،

ونفركُ في شواربنا الطويلة..

•

كُنّا ثمانيةً على امرأةٍ..

وكان الليلُ يرثينا..

وترثينا الرجولة..

إلى صاحبة السموّ.. حبيبتي سابقاً

.. وتزوَّجت أخيراً..

بئراً نفطٍ..

وتصالحت مع الحظّ أخيراً..

كانت السحبةُ – يا سيّدي – رابحةً

ومن الصندوق أخرجت أميراً..

عربيّ الوجه.. إلّا أنّه..

تركّ السيف يتيماً.. وأتى

يفتحُ الدنيا شفاهاً.. وخُصّورا

فاستريحى الآن.. من عبء الهوى

طالما كنت تريدين أميراً..

تتسلّين به وقتاً قصيراً..

يتسلّى بك – يا سيّدي – وقتاً قصيراً

ويمدُّ الأرض، من تحتك، وردّاً وحريراً

فاشربي نفطاً.. وسبحان الذي

جعلَ البترول مسكاً وعبيراً..

•

.. وتزوَّجت أخيراً ملكاً..

من ملوك الخلفاء الراشدين

وملكتِ الدينَ والدنيا معًا..
فاسجُدي شكرًا لربِّ العالمينُ
رازقِ الطيرِ على أشكالها..
مُسْقِطِ الغيثِ، مَلَاذِ التائِهينُ
باعثِ الأمواتِ من أكفانهمُ
بارئِ المرضى، وكافيِ المُعْدَمينُ
واهيبِ النفطِ لمن يختارُهُمُ
من بنِيهِ الصالحينُ..

•

.. كانتِ السَّحْبَةُ يا سَيِّدتي رابحةً
— مثلما قَدَّرتِ — والصيدُ ثمينُ
وأنا غيرُ حزينُ..
لا تظنِّي أبدًا.. أَنِّي حزينُ
فأنا أعلمُ، يا سَيِّدتي، عِلْمَ اليقينِ
ما تُسرِّينَ.. وماذا تُعلنينُ
وأنا أعرفُ يا سَيِّدتي
أكثرَ الخيلِ التي كنتِ عليها تلعبينُ..
وأنا أعرفُ يا سَيِّدتي
كيفَ خَطَّطتِ سَنينًا وسنينَ
لتصيدي ملكًا..
من مُلوكِ الخلفاءِ الراشدينُ..

•

لم يفاجئني الخبر..
حين طالعتُ الجريدة..
ورأيتُ الشمع، والأطفال، والثوب الموشى بالذهب
ورأيتُ الرجل المسحوب بالقرعة..
معروضًا كبرواز الخشب..
لم يحركني الخبر..
حين شاهدتُك في كلِّ الصُّور
تنتنَّينَ كطاووسٍ.. شمالاً ويميناً
وتدوبينَ حياءً وخَفَرً
وتشدينَ على كفِّ النبيِّ المنتظر..
لم يساورني العجب
فهواياتُك كانتُ دائماً..
جمَعَ فرسان الخشب..

•

.. وتأمَلْتُ شعوري..
وأنا أقرأ أخبارَ زفافِك
كيف لم أحزن.. ولم أفرح..
ولا طرْتُ سرورا..
كيف لم أعبأ.. ولم أُبرق..
ولم أرسل زُهورا..
كيف في ثانيةٍ ماتَ شعوري..
فالتى أشعلتُ في معبدها قنديلَ عمري

لم تَعُدْ تعني قليلاً أو كثيراً..

كيف أَلقيْتُ على الأرض الجريدة؟

ونسيْتُ العرسَ أضواءً، ورقصاً، وكؤوساً

وتأملتُ التصاويرَ أمامي..

غير أنني لم أجدُ فيها العروسا..

.. وتسليْتُ كثيراً..

حينَ أبصرْتُكِ يا سيّدي،

تقطعينَ الكعكةَ الكبرى..

وتمشينَ كما تمشي اللُّعبُ

وتضمينَ أمامَ الناسِ براوزَ الحَشَبِ

وتشيدينَ بأنسابِ قریش

وفُتُوحاتِ العَرَبِ..

وتعجّبتُ لنفسِي..

لم أكنُ أشعرُ في أيِّ أسَى

لم أكنُ أشعرُ في أيِّ غَضَبٍ..

فأنا أعرفُ يا سيّدي

أن أحلامَكِ أن تلتقطي..

بدويّاً عاشقاً..

يرهُنُ التاريخَ عندَ امرأةٍ..

ويبيعُ اللهَ في جلسةِ جنسٍ وطَرَبٍ..

•

ألفُ مبروكٍ.. أيا سيّدي

وأَدَامَ اللهُ بَنِي إِسْرَءِيلَ الْعَرَبِ..

الإستحالة

لم نُمارِسْ لعبةَ الحُبِّ معًا.. منذَ شهورٍ

وقعدنا.. مثلَ جُنْدِيَّيْنِ منهوكَيْنِ

ألقينا على الأرضِ البَوَارِيدَ..

انهزمنا.. قبلَ ميعادِ العُبُورِ

ورفعنا عاليًا.. أعلامنا البيضاء..

سَلَّمنا المفاتيحَ.. قتلنا أجملَ الخيلِ،

وأحرقنا الجسورَ..

.. وأخذنا..

كالمجاذيبِ نُعْزِي بعضنا بعضًا..

لجأنا لقناني الخمرِ..

حاولنا.. وحاولنا..

ولكنَّ المرايا رَفَضَتْنا.. وقواريرَ العطورِ

وتكلَّمنا..

– ولا أذكرُ عن ماذا تكلَّمنا –

لعبنا وَرَقًا كي نصرعَ الوقتَ..

قرأنا صُحُفًا من غيرِ تاريخٍ..

تمطَّينا طويلاً..

وتشاءبنا طويلاً..

وتعلَّلنا بآلافِ المعاذيرِ..

اختبأنا خلفَ جدرانِ الغرورِ..

ومسحنا عَرَقَ الخيبةِ عن أوجِها

وبحثنا..

كجنودٍ قُطِعَتْ أخبارُهُم

– داخلَ الأكياسِ – عن شيءٍ من الدفءِ..

وعن شيءٍ من الحُبِّ..

ولكنَّا رجعنا بالقشورِ..

وتبادلنا المراثي..

وتضرَّعنا..

وصلَّينا..

وقدَّمنا إلى الله النُّورَ..

لم نكن نشعر بالحرِّ.. أو البردِ..

ولا كانت السَّجَّادةُ الصَّينيَّةُ الخضراءُ تمشي..

والثَّريَّاتُ على السقفِ تدورُ..

كانت الشمسُ صليبيًا من نحاسٍ..

فوق رأسينا..

وكنا مرفأي ملحٍ..

وكنا شجرًا دونَ جذورِ..

لم نكن مرضى – كما نحنُ تصوَّرنَا –

ولكنَّا أضعنا الدهشةَ الأولى

أضعنا..

مُتعةَ الحَدْسِ بما بينَ السطورِ..

وتدحرجنا إلى القعرِ.. قطارينِ..

تتناثرنا. امتلأنا بالشظايا والكسور..

وتشوّهنا تمامًا..

مثل مخلوقاتٍ ما قبل العصور..

ورمينا وردة الشعر..

تحولنا إلى نثر.. سقطنا في شراكِ الدَبَقِ اليومي..

أفلسنا..

تكرّرنا..

تعوّدنا على الموت.. انتظرنا في كراسينا..

كما ينتظر الأمواتُ في أكفانهم يومَ النشورِ

ورأينا..

كيف ينمو الطحلبُ البحريُّ في القلب..

عرفنا..

خدرَ الجلد.. وإفلاسَ الشعورِ

هل لدى سيّدتِي حلٌّ لإفلاسِ الشعورِ؟

أنا ما عندي اقتراحاتٌ..

خذيْنِي حيثما شئتِ..

أرْبِني السفنَ البيضاء، والأسماك، والبحرَ

فإنّي لم أعد أذكرُ أسماءَ البحورِ

إسحبيني من وعاء الصمغ، يا سيّدتِي

غَيّري هندسةَ الأشياء من حولي..

أزيلي ورقَ الجدران، والجدرانَ،

نجّيني من الغُربة والنّفي..

أعيدي زمنَ النعناع والماء..

اكتبيني فوق أعشاب البراري

ومناكير الطيور..

أوقفي أجهزة التكيف، يا سيّدي..

وافتحي الأبواب..

علّ الشمس تُحيي مرّة أخرى البُذور

خَلّصيني من نظام الجبر والسُخرة في الحبّ

ومن رائحة الزهر الصناعي..

ومن رائحة الحبّ الصناعي..

وإرهابِ إشارات المروّز..

أنقذي نفسك يا سيّدي

أنقذيني..

قبل أن تقتلنا..

ثبِّقْ الأسمنت، والزهر الصناعي..

وأضواء إشارات المروّز..

محاولةٌ لِإِغْتِيَالِ امرأةٍ

وَاتَّفَقْنَا..

قَبْلَ أَنْ يَنْقَطَعَ الْخِيْطُ..

بِأَنْ نَبْقَى صَدِيقَيْنِ كَلِّ الْأَصْدِقَاءِ

وَتَحَمَّسْنَا..

وَأَكَّدْنَا..

وَكَرَّرْنَا..

"سَنَبْقَى عَقْلَاءَ".

وَرَسَمْنَا خَطَّةَ النِّسْيَانِ، هَيَّأْنَا الْبَوَارِيدَ،

تَأَمَّرْنَا عَلَى قَتْلِ السَّمَاءِ..

وَاجْتَمَعْنَا..

صَدَفَةً، فِي أَوَّلِ الصَّيْفِ اجْتَمَعْنَا..

فَنَقَضْنَا كُلَّ شَيْءٍ..

وَنَفَيْْنَا كُلَّ شَيْءٍ..

وَلَحَسْنَا فِي ثَوَانٍ..

كُلَّ مَا كُنَّا كَتَبْنَا..

وَإِكْتَشَفْنَا أَنَّ تَخْطِيطَاتِنَا..

كَانَتْ دَخَانًا فِي الْهَوَاءِ..

وَبَكِينَا.. وَاعْتَذَرْنَا..

وَعَرَفْنَا.. وَطَفَّوْنَا..

مثلما ترتعشُ الأسماكُ في بركة ماء..
وتدخلنا كما الإبرة والخيط..
نسبنا أننا صرنا صديقين لكل الأصدقاء
وتمدّدنا كسيفين على الأرض..
دَبَحْنَا.. واندَبَحْنَا..
ومحونا بعضنا من شدة الشوق..
فعلنا الحبّ تكرارًا.. وتكرارًا..
صرخنا مثل وحشين..
نَزَفْنَا مثل وحشين..
وأمطرنا، وأرعدنا..
وثَبْنَا..
وكَفَرْنَا..
وركضنا..
في براري الحبّ أحرارًا..
وثَبْنَا كحصانين إلى الشمس..
دخلناها..
فتحنّاها..
جَرَحْنَاها حنينا.. وأنْجَرَحْنَا..
وعرفنا الجنسَ في أحلى ثوانيه..
وفي أقسى ثوانيه..
تلاصقنا..
تباعدنا..
تبادلنا اللُفافات..

تحدّثنا قليلاً.. وسكّتنا..
وتجاوزنا ملايينَ الإشارات..
تحدّينا..
تعرّينا من التاريخ.. من مُلك بني عثمان..
من عصر المماليك..
ومن رقص الدراويش..
قرأنا عن أبي زيد الهلالي..
وعن مجنون ليلى..
وضحكنا..
ونسينا اللغة الأم..
اخترعنا لغةً أخرى..
لفظنا جُملاً مبتورةً.. فارغةً من أيِّ معنى..
ورمينا جانباً..
أقنعةَ الشمع، وعقلَ العقلاء
وتعمّدنا بماء الحبّ والجنس..
تطهّرنا..
رجعنا أبرياء
ونسينا حين جاء الصيف..
ما قلناه أيّامَ الشتاء..
ونسينا..
أنّا صرنا صديقينِ كُلِّ الأصدقاء..

الإلتصاق

١

هل سنبقى سنةً أخرى على هذا السرير؟

نتعاطى الشاي، والزبدة.. والجنس..

على نفس السرير؟

إنني أحفظُ جغرافيّة النهدين.. يا سيّدي

عن ظهر قلب..

وأنا أعرفُ كالتلميذ أخبارَ الحضارات التي

قد نشأتُ بينهما..

عن ظهر قلب

وأنا أعرف..

طعم العرق المالح يجري من مسامتك..

والجرح الطفوليّ على ركبتك اليسرى..

.. وهذا الوبَر النامي على سلسلة الظّهر.. كأسلاك الحريز

والدبابيس التي ترقدُ في شعرك،

والعطر الذي يستعملُ السكّين في الإقناع..

والنهد الذي يحترقُ القتلَ وجاهياً..

وما زال على القتل صغير..

وأنا أعرفُ وقتَ المدّ والجُرر..

وتوقيتَ الأعاصير..
وأشكالَ النباتات..
وأسماءَ العصافير التي تنقرُ من ثغرك..
رُمانًا.. وقمحًا.. وتطيرُ..

٢

هل سيبقى جسدي مُستنفراً
مثلَ جوادٍ عربيٍّ..
راكضاً فوق المرايا..
ومداساتِ البيانو..
وصناديقِ الحُلِيِّ..
هل سَأبقى؟
ذاهلاً في حضرة النهْدِ ذهولَ البدويِّ..
إنني أمنتُ يا سيّدي..
أنَّ شكلَ الأرضِ شكلُ كرويٍّ..

٣

هل سنبقى سنةً أُخرى..
على هذا الفراشِ الفوضويِّ؟
نكتسي حينًا..
وحيثُ نتجرّدُ

هل بدأنا

نستطيبُ النومَ في زنازة الجنس المؤبَّد..

هل تحوّلنا إلى نقشٍ..

على قبر أميرٍ بابليٍّ؟

هل بدأنا نتعوّد؟

هذه الرائحةُ العاليةُ الصوت.. أنا اعتدْتُ عليها

مثلما اعتادتُ عليّ..

فإذا رأسُك.. إقليمٌ صغيرٌ فوق صدري

وإذا أنتِ امتدادٌ ليديّ..

٤

آه يا سيّدي!

كم أنا مختجلٌ منكِ وآسفٌ

فأنا أعرفُ – حتّى –

عدَدَ الخيطانِ في هذه الشراشفِ

عبثاً.. أبحثُ في عينيكِ عمّا أجهلُهُ..

عبثاً أبحثُ..

عن أيِّ سؤالٍ أسأله.. إنني أعرفُ كالسيّاح أحجامَ التماثيلِ..

من العصرِ النحاسيّ إلى اليوم..

وأشكالَ الأباريق..

من العصرِ الفينيقيّ إلى اليوم..

وأنواعَ الرُسُومِ الفارسيّاتِ..

وأعمالَ رفائيلَ،
وفانُ كوَحَ،
وبيكاسو،
وغويا..
وبواقيتَ بني عثمان..
والنقشَ البرنطيَّ على أبواب نهديك..
وفوحَ المسك، وال نارنج.. من تحت السوالف..
آه.. يا سيّدي..
آه.. ما أشقى أدلاء المتاحف..



نحنُ جرّبنا الهوى قبلَ العشاء..
ثمّ جرّبناه ما بعد.. وأثناء العشاء..
وسحقنا بعضنا مثلَ طواحين الهواء..
ثمّ ماذا؟
إنّني أعلم عن جسمك ما يجهله
كلُّ أصحاب الكرامات..
وكلُّ الأولياء..
وأنا أعلمُ بالتفصيل يا سيّدي
كلَّ وادٍ فيه،
أو سنبلة..
أو نبع ماء..

هكذا يفعل كلُّ الأغبياء..

٦

إرفعي الأغطية البيضاء..

فالحُرُّ شديدٌ..

وفمي ممتلئٌ بالسَّمَكِ المَيْتِ.. واللحمِ القديدِ

لم يعدُ يبهرني شيءٌ..

ولا يدهشني شيءٌ..

ولا أدري إذا كنتُ شقيًّا.. أم سعيدٌ

فلقد أدمنتُ أَيَّامَ البطالةِ

أنا لا أفعلُ شيئاً..

غيرَ تبريدِ الزجاجاتِ.. وتدخينِ السجائرِ

أنتِ لا تدريين شيئاً..

غيرَ تقليبِ المجلاتِ.. وتقليمِ الأظافرِ

ليتتنا نفتحُ يا سيّدتِ إحدى الستائرِ..

فأنا اشتقتُ لأخبارِ العصافيرِ..

وأخبارِ المَطَرِ..

وأنا اشتقتُ كثيراً..

لنداءاتِ الصواريِ..

ودهاليزِ القطاراتِ..

وأوراقِ السَفَرِ..

وأنا اشتقتُ كثيراً.. وكثيراً..

لمظلات المقاهي..

ولأضواء الدكاكين.. وأصوات البشر

ليتتنا نفعل شيئاً..

قبل أن يذبحنا سيف الضجر..